التحف في الإرشاد إلى مذهب السلف

تأليف

شيخ الإسلام القاضي العلامة

محمد بن علي الشوكاني رحمه الله

وحققها وعلق عليها وخرج أحاديثها

د. عقيل بن محمد زيد المقطري

راجعها وقدم لها

فضيلة الشيخ العلامة محدث الديار اليمنية

مقبل بن هادي الوادعي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله رب العالمين ,وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم , وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

أما بعد :

فقد اطلعت على تحقيق أخينا في الله الشيخ الفاضل عقيل بن محمد المقطري لرسالة الإمام الشوكاني رحمه الله المسماة ب(التحف في الإرشاد إلى مذهب السلف) فوجدته – حفظه الله– قد بذل جهدا مشكورا أثابه الله عليه.

وموضوع الرسالة من المواضيع المهمة الجديرة بالنشر بين المسلمين وبحمد الله قد ازدادت بالتعليق والاستدراكات نورا على نور.

فجزى الله الإمام الشوكاني وأخانا الشيخ عقيلا على ما قدماه خيرا ونفع بعملهما الإسلام والمسلمين إنه جواد كريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي.

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين, وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ,وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن هذه الرسالة من رسائل الشوكاني المهمة والتي تتعلق بمسألة العقيدة وقد طبعت عدة مرات منها :

الطبعة المنيرية , والطبعة المدنية والطبعة التي نشرتها دار القدس بصنعاء بتقديم وتعليق شيخنا مقبل بن هادي الوادعي.

إلا أنني حصلت على صورة لمخطوطة هذه الرسالة وهي بخط المؤلف رحمه الله.

فذهبت أعرضها على النسخ المطبوعة فوجدت النسخ المطبوعة مليئة بالأخطاء والسقط وسيظهر لك هذا فيما بينته في حاشية الرسالة.

وأكثر هذه النسخ سقطا هي النسخة التي طبعتها دار القدس بتقديم وتعليق الشيخ مقبل بن هادي الوادعي وقد اعتمد الشيخ على الطبعة المنيرية– فأضيف في هذه الطبعة عدة أخطاء إلى الأخطاء الواقعة في أصلها.

فرأيت أنه من الضروري أن تصدر هذه الرسالة الطيبة محققة خالية من الأخطاء والسقط كما كتبها مؤلفها رحمه الله تعالى.

ثم إن اسم الرسالة كما سماها مؤلفها ((التحف في الإرشاد إلى مذهب السلف)) فوقع الخطأ حتى في تسميتها في النسخ المطبوعة فالله المستعان.

هذا وأسأل الله أن ينفع بهذه الرسالة وأن يجعل عملي خالصا لوجه الكريم إن سميع مجيب.

أبو عبد الرحمن السلفي/ عقيل بن محمد بن زيد المقطري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ,والصلاة والسلام على خير الأنام وآله الكرام ورضي الله عن صحبه الأعلام.

وبعد:

فإنه وصل سؤال من بعض الأعلام الساكنين ببلد الله الحرام ,وهذا لفظه:

بسم الله الرحمن الرحيم :

الحمد لله رب العالمين ما يقول فقهاء الدين ,وعلماء المحدثين وجماعة الموحدين ,في آيات الصفات وأخبارها اللاتي نطق بها الكتاب العظيم ,وأفصحت عنها سنة الهادي إلى صراط مستقيم ؟

هل إقرارها وإمرارها وإجراؤها على الظاهر بغير تكييف[1] ولا تمثيل[2] ولا تأويل[3] ولا تعطيل[4] عقيدة الموحدين, وتصديق بالكتاب المبين ,واتباع للسلف الصالحين ؟ أو هذا مذهب المجسمين؟

وما حكم من أول الصفات ونفى ما وصف الله به نفسه ووصفه به نبيه و تأيَّد بالنصوص ,واتفق عليه الخصوص من أن الله سبحانه في[5] سمائه مستو على عرشة بائن[6] من خلقه ,وعلمه في كل مكان؟

والدليل آيات الاستواء[7] والصعود[8] والرفع [9] وقوله تعالى: ((ءَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ))[10] .

---

١ - المراد بالتكييف: هو أن يقال الصفة الفلانية على هيئة كذا وكيفية كذا وهكذا في كل الصفات

٢ - المراد بالتمثيل أن يشبه الخالق بالمخلوق.

٣ - المراد بالتأويل: هو أن تصرف صفات الله عز وجل عن معناها الحقيقي إلى ما يسمونه بالمجاز.

٤- المراد بالتعطيل : هو نفي أسماء الله وصفاته وتعطيلها تعطيلا كليا.

٥ - (في) ها هنا بمعنى (على) وأحرف الجر تتناوب (قال فرعون للمؤمنين الذين آمنوا بموسى : (وَلأصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) (طه آية ٧١) أي على جذوع النخل.

٦ -بائن : معناها منفصل.

٧ -مثل قوله تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (طه آية٥) وقد ذكر الله الاستواء في ستة مواضع من كتابه العزيز وهي : (الأعراف آية ٥٤ ,يونس آية ٣ و الرعد آية ٢ والفرقان آية ٥٩ والسجدة آية ٤ والحديد آية ٤)

٨ - يشير إلى قوله تعالى : (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) (سورة فاطر آية ٣٥).

٩ - يشير إلى قوله تعالى : (بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ) (النساء آية ١٥٨).

ومن السنة حديث الجارية[١١].

والنزول [١٢].

وعمران بن حصين [١٣].

وقوله – صلى الله عليه وسلم : ((ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء))[١٤].

وغير ذلك من الآيات المتواترة والأحاديث المتكاثرة[١٥] .

وأول الآيات وجعل الاستواء استيلاء وأول النزول بالرحمة وهكذا جعل التأويل عليه مطردة في سائر نصوص الصفات وعاش في ظلام العقل في الجهل والشبهات وإذا قيل له : أين الله ؟

أجاب : بأنه لا يقال أين الله ؟ الله لم يكن له مكان ,كما هو جواب فريق[١٦] المضلين.

فهل هذا جواب الجهميين [١٧] والمريسيين[١٨] و أضلاء المتكلمين أم اختيار علماء السنيين؟

---

١٠ - سورة الملك آية (١٦).

١١ - يشير إلى حديث معاوية بن الحكم السلمي الذي سأل فيه النبي على الصلاة والسلام جارية معاوية فقا ل : ((أين الله قالت في السماء قال: ((أعتقها فإنها مؤمنة)) رواه مسلم (ج١ ص٣٨٢).

ولأخينا في الله الشيخ سليم الهلالي رسالة مفيدة للغاية حول حديث الجارية هذا ننصح إخواننا باقتنائه والاستفادة منه.

١٢ - يشير رحمه الله إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((ينزل ربنا إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ثم يقول : من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفر ني فأغفر له؟)) رواه البخاري (ج٣ص٢٩) ومسلم (ج١ص٥٢١). وحديث النزول روى عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم ولشيخ الإسلام ابن تيمية شرح مفيد لحديث النزول فرحمة الله عليه.

١٣ - يشير رحمه الله إلي حديث عمران بن حصين الذي أخرجه الترمذي في جامعه (٣٤٨٣) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٤٢٤).

وفي إسناده شبيب بن شيبة قال فيه الحافظ في التقريب : صدوق يهم في الحديث.

وفي إسناده أيضا الحسن البصري وهو مدلس وقد عنعن بل لم يسمع من عمران بن حصين كما في جامع التحصيل.

فالحديث ضعيف.

١٤ - رواه البخاري (ج٨ص٦٧) ومسلم برقم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

١٥ - هكذا وقع في المخطوطة والنسخ المطبوعة ولعله سبق قلم من المؤلف رحمه الله تعالى فلعله أراد أن يقول : (الآيات المتكاثرة والأحاديث المتواترة) فحصل هذا التقديم والتأخير.

١٦ - وقع في الطبعة المنيرية (فريقي) والصواب ما أثبتناه لأنه هو الموافق لما كتبه المؤلف بخطه.

١٧-الجهميون : هم أتباع الجهم بن صفوان وهو حامل راية التعطيل التي استقاها عن شيخه الجعد بن درهم .

أفيدونا بجواب رجاء الثواب يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها فإن هذا المقام طال فيه النزاع وحارت فيه الأفهام وزلت الأقدام وكل يدعي الصواب بزخرف الجواب فأبينوا المدَّعي بالدليل وبينوا طريق الحق بالتفصيل والتطويل ضاعف الله لكم الأجور و وقاكم الشرور(آمين)[١٩]والسلام عليكم ورحمة الله (وبركاته انتهى)[٢٠].

أقول : اعلم أن الكلام في الآيات والأحاديث الواردة في الصفات قد طالت ذيوله, وتشعبت أطرافه وتناسبت فيه المذاهب ,وتفاوتت فيه الطرائق ,وتخالفت فيه النحل.

وسبب هذا عدم وقوف المنتسبين إلى العلم حيث أوقفهم الله ,ودخولهم في أبواب لم يأذن الله لهم بدخولها ومحاولتهم لعلم شيء استأثر الله بعلمه ,حتى تفرقوا فرقا ,وتشعبوا شعبا ,وصاروا أحزابا ,وكانوا في البداية ومحاولة الوصول إلى ما يتصورونه من العامة مختلفي المقاصد متبايني المطالب: فطائفة – وهي أخف هذه الطوائف المتكلفة علم ما لم يكلفها الله سبحانه بعلمه إثما وأقلها عقوبة وجرما – (وهي التي أرادت الوصول إلى الحق والوقوف على الصواب)[٢١].

لكن سلكت في (طلبه)[٢٢] طريقة متوعِّرة وصعدت في الكشف عنه إلى عقبة كؤود لا يرجع من سلكها سالما فضلا (عن)[٢٣] أن يظفر فيها بمطلوب صحيح.

ومع هذا أصلوا أصولا ظنوها حقا فدفعوا بها آيات قرآنية وأحاديث صحيحة نبوية ,واعتلوا في ذلك الدفع بشبه واهية, وخيالات مختلة [٢٤] ,وهؤلاء (هم)[٢٥]طائفتان:

---

١٨ - المريسيون : هم أتباع بشر المريسي . قال فيه الذهبي في ميزانه (مبتدع ضال ولا ينبغي أن يروى عنه ولا كرامه...)

١٩ هذه اللفظة سقطت من النسخ المطبوعة واستدركناها من المخطوطة .

٢٠ سقط ما بين القوسين من النسخ المطبوعة واستدركناه من المخطوطة.

٢١ - ما بين القوسين سقط من النسخة التي قدم لها الشيخ مقبل بن هادي الوادعي والتي طبعتها – مكتبة دار القدس – مع أن أصلها النسخة المنيرية وهو مثبت فيها فالله المستعان.

٢٢ - ما بين القوسين سقط من النسخ المطبوعة , وأثبتناه من المخطوطة .

٢٣ - ما بين القوسين سقط من النسخ المطبوعة واستدركناه من المخطوطة.

٢٤ - في النسخة التي قدم لها الشيخ (مختلفة)وهو خطأ مخالف للأصل الذي طبعت عنه ومخالف للمخطوطة .

٢٥ - ما بين القوسين سقط من النسخ المطبوعة , وأثبتناه من المخطوطة.

الطائفة الأولي: وهي الطائفة التي غلت في التنزيه, فوصلت إلى حد يقشعر عنده الجلد ويضطرب له القلب من تعطيل الصفات الثابتة بالكتاب والسنة ثبوتا أوضح من شمس النهار وأظهر من فلق (الصباح)[٢٦].

وظنوا هذا من صنيعهم موافقا للحق مطابقا لما يريده الله سبحانه فضلوا الطريق المستقيم وأضلوا من رام سلوكها.

والطائفة الأخرى: وهي (الطائفة التي)[٢٧] غلت في إثبات القدر غلوا بلغ إلى حد أنه لا تأثير لغيرها ,ولا اعتبار بما سواها ,وأفضى ذلك إلى الجبر المحض ,والقسر الخالص ,فلم يبق لبعث الرسل ,وإنزال الكتب كثير فائدة ولا يعود ذلك على (عباد الله)[٢٨]بعائدة.

وجاؤوا بتأويلات للآيات البينات ومحاولات لحجج الله الواضحات فكانوا كالطائفة الأولى في الضلال والإضلال مع أن كلا المقصدين صحيح ووجه كل منهما صبيح لولا ما شانه من الغلو القبيح.

وطائفة توسطت , ورامت الجمع بين الضب[٢٩] والنون[٣٠] وظنت أنها وقفت بمكان بين الإفراط والتفريط.

ثم أخذت كل طائفة من هذه الطوائف الثلاث تجادل وتناضل وتحقق وتدقق في زعمها وتجول على الأخرى وتصول بما ظفرت مما يوافق ما ذهبت إليه و(كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ)[٣١]. وعند الله تلتقي الخصوم.

ومع هذا فهم متفقون فيما بينهم على أن طريق السلف أسلم ولكن زعموا أن طريق الخلف أعلم[٣٢], فكان غاية ما ظفروا به من هذه الأعلمية لطريق الخلف أن تمنى محققوهم وأذكياؤهم في آخر أمرهم دين العجائز ,وقالوا

---

٢٦ - وقع في نسخة (الصبح) وما أثبتناه هو الموافق للمخطوطة وللمنيرية.

٢٧ -- ما بني القوسين سقط من النسخ المطبوعة واستدركناه من المخطوطة

٢٨. ما بين القوسين من المخطوطة ووقع في النسخ المطبوعة (عباده)

٢٩ - هو الحيوان المعروف الذي أكل على مائدة النبي عليه الصلاة والسلام ويوجد كثيرا بأرض نجد.

٣٠ -- النون: هو الحوت قال الله تعالى (وذا النون)) أي صاحب الحوت وورد في الحديث أن طعام أهل الجنة زيادة كبد النون – أي الحوت.

٣١ - آية (٣٢) سورة الروم.

٣٢ - قلت : وهذا ما يردده كثيرا الخلفيون الذين يزعمون أن مذهب السلف هو التفويض فنسوا بهذه المقالة الجهل لسلف هذه الأمة ولخير القرون ,وذلك أنهم بزعمهم هذا فوضوا صفات الله تعالى فلا يعلمون معانيها وهذا جهل منهم بمذهب السلف فإنهم لا يفوضون المعاني وإنما يفوضون علم الكيفية.

هنيئاً للعامة! فتدبر هذه الأعلمية التي حاصلها أن يهنِّيء من ظفر بها لأهل الجهل [٣٣] البسيط, ويتمنى أنه في عدادهم[٣٤] وممن [٣٥] يدين بدينهم ويمشي على طريقهم ,فإن هذا ينادي بأعلى صوت, ويدل بأوضح دلالة على أنَّ هذه الأعلمية التي طلبوها الجهل خير منها بكثير فما ظنك بعلم يقر صاحبه [٣٦] على نفسه أن الجهل خير منه ويتمنى [٣٧] عند البلوغ إلى غايته والوصول إلى نهايته أن يكون جاهلا به عاطلا عنه.

ففي هذا عبرة للمعتبرين , وآية (بينة) [٣٨] للناظرين فهلا عملوا على جهل هذه[٣٩] المعارف التي دخلوا فيها بادئ بدء وسلموا من تبعاتها , وأرجوا أنفسهم من تعبها , وقالوا كما قال القائل:

أري الأمر يفضي إلى آخر يصير آخره أولا[٤٠]

وربحوا الخلوص من هذا التمني ,والسلامة من هذه التهنئة للعامة ,فإن العاقل لا يتمنى رتبة مثل رتبته ,أو دونها ولا يهنئ لمن هو دونه أو مثله[٤١], ولا يكون ذلك إلا لمن رتبته أرفع من رتبته ومكانه أعلى من مكانه.

وأما الخلفيون فمذهبهم كما هو معروف التأويل , هكذا زعموا وإنما هو الإلحاد في أسماء الله وصفاته .ومن هنا نشأ قولهم (مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم).

وهذه المقالة في غاية من الفساد .

وذلك أن الخلفيين فصلوا بن السلامة والعلم والحكمة . ولا سلامة إلا بعلم وحكمة.

ثم من العجب العجاب أن يكون الخلفيون أعلم بالله من سلف هذه الأمة , الذين هم خير القرون بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولا خيرية إلا بعلم وحكمة.

وكيف يكون في مذهب الخلف العلم والحكمة وقد اعترف رؤساؤه ببطلانه وزيفه واعترفوا بالحيرة والاضطراب وتراجعوا عنه إلى مذهب السلف فالله المستعان.

٣٣ - في ا لمطبوعة المنيرية: (... من ظفر بها للجاهل الجهل البسيط).

وفي أخرى (... من ظفر بها للجاهل لأهل الجهل البسيط) وكلاهما مخالف لما في المخطوطة لذلك أثبتنا ما في المخطوطة.

٣٤ - في النسخة التي قدم لها الشيخ مقبل (عدادها) وهو خطأ والصواب ما في النسخة المنيرية والتي هي الأصل التي اعتمد عليها الشيخ وكذلك ما في المخطوطة.

٣٥ - في النسخة التي قدم لها الشيخ مقبل (من) وهو خطأ.

٣٦ - وقع في النسخة (يقر له صاحبه) وهو خطأ مخالف للمخطوطة وللنسخ الأخرى.

٣٧ - وقع في النسخ المطبوعة (وينتهي) وهو خطأ مخالف للمخطوطة ولذلك أثبتنا ما في المخطوطة.

٣٨ - سقطت هذه اللفظة من بعض النسخ وهي المدنية , والصحيح إثباتها كما في المخطوطة وبقية النسخ المطبوعة.

٣٩ - سقط اسم الإشارة من النسخة التي قدم لها الشيخ.

٤٠ -في المخطوطة هكذا

(رأي الأمر يفضي إلى آخر فصير آخره أولا)

٤١ - في المخطوطة بالتقديم والتأخير(مثله أو دونه).

فيا لله العجب من علم يكون الجهل البسيط أعلى رتبة منه ,وأفضل مقدارا بالنسبة إليه ,وهل سمع السامعون بمثل[٤٢] هذه الغريبة ,أو نقل الناقلون ما يماثلها ويشابهها[٤٣]؟!

وإذا كان حال هذه الطائفة التي قد عرفناك (أنها)[٤٤]أخف هذه الطوائف تكلفا ,وأقلها تبعة ,فما ظنك بما عداها من الطوائف التي قد ظهر فساد مقاصدها ,وتبين بطلان مواردها ومصادرها , كالطوائف التي أرادت بالمظاهر التي تظاهرت (بها كياد) الإسلام ,وأهله والسعي في التشكيك فيه بإيراد الشبه ,وتقرير الأمور المفضية إلى القدح في الدين وتنفير أهله عنه؟!

وعند هذا تعلم أن :

خير الأمور السالفات على الهدى وشر الأمور المحدثات البدائع

وأن الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة, هو ما كان عليه خير القرون ,ثم الذين يلونهم, ثم الذين يلونهم[٤٥]وقد كانوا– رحمهم الله وأرشدنا إلى الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم – يمرون أدلة الصفات على ظاهرها, ولا يتكلفون علم ما لا يعلمون (ولا يحرفون)[٤٦] ولا يتأولون.

وهذا المعلوم من أقوالهم وأفعالهم والمتقرر من مذاهبهم لا يشك فيه شاك ولا ينكر منكر و لا يجادل فيه مجادل, وإن نزغ (من)[٤٧]بينهم نازع أو نجم في عصرهم ناجم , أوضحوا للناس أمره وبينوا لهم أنه على ضلالة وصرحوا بذلك في المجامع والمحافل , وحذروا الناس من بدعته, كما كان منهم لما ظهر معبد الجهني[٤٨] وأصحابه, وقالوا:

---

٤٢ - في النسخ المطبوعة (مثل) , وهو مخالف للمخطوطة فأثبتنا ما فيها.

٤٣ - في النسخ المطبوعة (أو يشابهها) وفي المخطوطة (ويشابهها) فأثبتناه.

٤٤ - ما بين القوسين سقط من المطبوعات , وهو ثابت في المخطوطة.

٤٥ -ورد حديث عن النبي عليه الصلاة والسلام بهذا المعنى وهو ما رواه البخاري (ج٥ص١٩١) , ومسلم برقم (٢٥٣٣), ومن حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...))

٤٦ - ما بين القوسين سقط من المطبوعات.

٤٧ - ما بين القوسين سقط من المطبوعات

٤٨ - له ترجمة في التهذيب , وفي البداية والنهاية (ج٩/٣٤), والميزان (ج٤ص١٤١), والعبر (ج١ص٩٢). والمجروحين (ج٣ص٣٥),وتاريخ البخاري (ج١ ص٣٩٩) , وفي التاريخ الصغير (ج١ ص٢٠٤) , والجرح والتعديل (القسم الأول من المجلد الرابع ص ٢٨٠).

إن الأمر أنف[٤٩](فتبرأوا منه)[٥٠]وبينوا ضلالته وبطلان مقالته للناس, فحذروه ,إلا من ختم الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة.

وهكذا كان من بعدهم يوضح للناس بطلان أقوال أهل الضلال, ويحذّرهم منها , كما فعله التابعون رحمهم الله بالجعد بن درهم[٥١],ومن قال بقوله, وانتحل نحلته الباطلة.

ثم ما زالوا هكذا لا يستطيع المبتدع في الصفات أن يتظاهر ببدعته , بل (يتكتمون بها)[٥٢] كما يتكتم [٥٣] الزنادقة بكفرهم ,وهكذا سائر المبتدعين في الدين , على اختلاف البدع وتفاوت المقالات الباطلة.

ولكنا نقتصر هاهنا على الكلام في هذه المسألة التي ورد السؤال عنها وهي مسألة الصفات وما كان من المتكلمين فيها بغير الحق ,المتكلفين[٥٤] علم ما لم يأذن الله بأن يعلموه وبيان أن إمرار أدلة الصفات على ظاهرها هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم ,وأن كل من أراد من نزاع المتكلفين , وشدّاد (المحرفين)[٥٥]والمتأولين أن يظهر ما يخالف المرور على ذلك الظاهر, قاموا عليه , وحذروا الناس منه وبينوا لهم أنه على خلاف ما عليه أهل الإسلام.

(فصار المبتدعون) [٥٦] في الصفات القائلون بأقوال تخالف ما عليه السواد الأعظم من الصحابة والتابعين وتابعيهم في خبايا وزوايا لا يتصل بهم إلا مغرور , ولا ينخدع بزخارف أقوالهم إلا مخدوع, وهم مع ذلك على تخوف من أهل الإسلام وترقب لنزول مكروه بهم من حماة الدين من العلماء الهادين, والرؤساء والسلاطين, حتى نجم ناجم المحنة وبرق بارق الشر من جهة (الدولة)[٥٧] ومن لهم الأمر والنهي والإصدار والإيراد أعظم صولة ,وذلك في

---

٤٩ -انظر صحيح مسلم رقم (٨).

٥٠ -ما بين القوسين سقط من المطبوعات وأثبتناه من المخطوطة.

٥١ - ترجمته في لسان الميزان (ج٢ص ١٠٥).

٥٢ - وقع في المطبوعات (بل يكتمونها) , وهو مخالف لما في المخطوطة.

٥٣ - وقع في المطبوعات (تتكتم)..

٥٤ - وقع في المطبوعات (المتكلف) , وهو مخالف لما في المخطوطة.

٥٥ - وقع في المطبوعات (المحدثين), وهو مخالف لما في المخطوطة.

٥٦ - وقع في المطبوعات (وسائر المبتدعين), وهو مخالف للمخطوطة.

٥٧ - وقع في المطبوعات (العباسية) بدلا من قوله(الدولة), وهو مخالف للمخطوطة فأثبتنا ما في المخطوطة.

الدولة (المأمونية)[٥٨] بسبب قاضيها أحمد بن دؤاد[٥٩] فعند ذلك أطلع المنكمشون[٦٠] في تلك الزوايا رؤوسهم , وانطلق ما كان قد خرس من ألسنتهم , وأعلنوا بمذاهبهم الزائفة, وبدعهم المضلّة ,ودعوا الناس إليها ,وجادلوا عنها , وناضلوا المخالفين لها ,حتى اختلط المعروف بالمنكر ,واشتبه على العامة الحق بالباطل , والسنة بالبدعة.

ولما كان الله سبحانه قد تكفل بإظهار دينه على الدين كله , وبحفظه عن التحريف والتغيير والتبديل , أوجد من علماء الكتاب والسنة في كل عصر من العصور من يبين للناس دينهم ,وينكر على أهل البدع بدعهم , فكان لهم – ولله الحمد– المقامات المحمودة . والمواقف المشهورة[٦١] ,في نصر الدين, وهتك المبتدعين.

وبهذا الكلام القليل الذي ذكرناه[٦٢] تعرف أن مذهب السلف من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وتابعيهم هو إيراد أدلة الصفات على ظاهرها , من دون تحريف لها ولا تأويل متعسف لشيء منها, ولا جبر و لا تشبيه ولا تعطيل يفضي إليه كثير من التأويل.

وكانوا إذا سألهم [٦٣] سائل عن شيء من الصفات تلوا عليه الدليل , وأمسكوا عن القال والقيل , وقالوا: قال الله هكذا, ولا ندري بما سوى ذلك , ولا نتكلف ولا نتكلم بما لم نعلمه , ولا أذن الله لنا بمجاوزته فإن أراد السائل أن يظفر منهم بزيادة على الظاهر زجروه[٦٤] عن الخوض فيما لا يعنيه, ونهوه عن طلب ما لا يمكن الوصول إليه إلا بالوقوع في بدعة من البدع التي هي غير ما هم عليه, وما حفظوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظه التابعون عن الصحابة, وحفظه من بعد التابعين عن التابعين.

---

٥٨ - ما بين القوسين سقط من المطبوعات.

٥٩ - انظر ترجمته في ميزان الاعتدال(ج١ص٩٧),والعبر(ج١ص٤٣١),ووفيات الأعيان (ج١ص٨١-٩١) وتاريخ بغداد (ج٤ ص١٤١-١٥٦) و سير أعلام النبلاء (ج١١ص١٦٩), والبداية والنهاية (ج١٠-٣١٩) , ولسان الميزان (ج١ص ١٧١)وشذرات الذهب (ج٢ ص٩٣)

٦٠ - وقع في المطبوعات (المنكسون) , وهو مخالف للمخطوطة.

٦١ -وقع في المطبوعات(المشهودة) , وهو مخالف للمخطوطة.

٦٢ - وقع في المطبوعات (ذكرنا) وهو مخالف للمخطوطة.

٦٣ - وقع في المطبوعات (سأل), وهو مخالف للمخطوطة.

٦٤ - مثال ذلك ما وقع في قصة صبيغ بن عسل لما كان يسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن بعض متشابه القرآن , فأمر عمر رضي الله عنه بضربه مئة سوط.

انظر كتاب(عقيدة السلف وأصحاب الحديث) للصابوني ص٥٢-٥٣, بتحقيق الشيخ/بدر البدر جزاه الله خيرا.

فكان[٦٥] في هذه القرون الفاضلة الكلمة في الصفات متحدة , والطريقة لهم جميعا متفقة, وكان اشتغالهم بما أمرهم الله بالاشتغال به, وكلفهم القيام بفرائضه من الإيمان بالله , وإقام الصلاة , وإيتاء الزكاة ,والصيام والحج, والجهاد , وإنفاق الأموال في أنواع البر, وطلب العلم النافع , وإرشاد الناس إلى الخير على اختلاف أنواعه, والمحافظة على موجبات الفوز بالجنة, والنجاة من النار, والقيام بالأمر بالمعروف, والنهي عن المنكر, والأخذ على يد الظالم بحسب الاستطاعة , وبما تبلغ إليه القدرة , ولم يشتغلوا بغير ذلك مما لم يكلفهم الله بعمله , ولا تعبدهم بالوقوف على حقيقته.

فكان الدين إذ ذاك صافيا عن كدر البدع, خالصا عن شوب قذر التمذهب ,فعلى هذا النمط كان الصحابة رضي الله عنهم , والتابعون وتابعوهم , وبهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم اهتدوا وبأفعاله وأقواله اقتدوا.

فمن قال : إنهم تلبسوا بشيء من هذه المذاهب الناشئة في الصفات أو غيرها.

فقد أعظم عليهم الفرية , وليس بمقبول في ذلك ,فإنَّ (نقول)[٦٦] الأئمة المطلعين على أحوالهم , والعارفين بها , الآخذين (لها)[٦٧]عن الثقات الأثبات , يرد عليه , ويدفع في وجهه, يعلم ذلك كل من له علم , وبعرفه كل عارف.

فاشدُد (يديك)[٦٨] بذلك على هذا, واعلم أنه مذهب خير القرون ثم الذين يلونهم , ثم الذين يلونهم [٦٩] ودع عنك ما حدث من تلك التمذهبات في الصفات, وأرح نفسك من تلك العبارات التي جاء بها المتكلمون,

---

٦٥ - وقع في المطبوعات (وكان) , والصواب ما أثبتناه لموافقته للمخطوطة.

[٦٦] - وقع في المطبوعات (أقوال), وهو مخالف للمخطوطة.

[٦٧] - ما بين القوسين سقط من المطبوعات.

[٦٨] -وقع في النسخة المنيرية (يدك) ووقع في النسخة المدنية (بذلك), والصواب ما أثبتناه من المخطوطة.

[٦٩] - وقع في المطبوعات ذكر القرن الرابع هكذا(... واعلم أنه مذهب خير القرون ثم الذين يلونهم ثم يلونهم ثم الذين يلونهم.
وهو مخالف لما في المخطوطة فليس لذكر القرن الرابع وجود فيها وإن كانت قد وردت كما في مسند أحمد (ج٤ ص٢٦٧) من طريق شيبان عن عاصم عن خيثمه عن النعمان بن بشير.
وفي (ص٢٧٧-٢٧٨) من طريق أبي بكر عن عاصم به.
ورواه أيضا ابن حبان في الثقات (ج٨ ص١) , من طريق حماد بن سلمة عن الجريري عن أبي نضرة عن عبدا لله بن مولة عن بريدة به قلت: وإسناده صحيح وراوية حماد بن سلمة عن الجريري قبل اختلاطه.

واصطلحوا عليها , وجعلوها أصلا يرد (إليه)[٧٠] كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ,فإن وافقاها, فقد وافق الأصول (المقررة)[٧١] في زعمهم, وإن خالفاها, فقد خالفا الأصول(المقررة)[٧٢] في زعمهم ويجعلون الموافق لهم من قسم المقبول والمحكم, والمخالف لها من قسم المردود والمتشابه.

ولو جئت بألف آية واضحة الدلالة ظاهرة المعنى , أو ألف حديث مما ثبت في((الصحيح)), لم يبالوا به , ولا رفعوا إليه رؤوسهم , ولا عدوه شيئا.

ومن كان منكرا لهذا, فعليه بكتب هذه الطوائف المصنفة في علم الكلام , فإنه سيقف على الحقيقة, ويسلم هذه الجملة, ولا بتردد فيها.

ومن العجب العجيب و النبأ الغريب أنّ تلك العبارات الصادرة عن جماعة من أهل الكلام , التي جعلها من بعدهم أصولا لا مستند لها إلا مجرد الدعوى على العقل , والفرية على الفطرة, وكل فرد من أفرادها قد تنازعت فيه عقولهم, وتخالفت عنده إدراكاتهم , فهذا يقول : حكم العقل, في هذا كذا[٧٣] وهذا يقول : حكم العقل, في هذا كذا ثم يأتي بعدهم من يجعل ذلك الذي يعقله من تقلده ويقتدي به, أصلا يرجع إليه , ومعيارا لكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم يقبل منهما ما وافقه , ويرد ما خالفه.

فيا لله (و يا للمسلمين)[٧٤], و يا لعلماء الدين من هذه الفواقر الموحشة الت لم يصب الإسلام وأهلة بمثلها.

وأغرب من هذا وأعجب وأشنع وأفظع أنهم بعد أن جعلوا هذه التعقلات التي تعقلوها على اختلافهم فيها وتناقضهم في معقولاتها أصولا ترد إليها أدلة الكتاب والسنة , جعلوها(أيضا)[٧٥]معيارا لصفات الرب

قال ابن حبان: هذه اللفظة : (ثم الذين يلونهم) في الرابعة تفرد بها حماد بن سلمة وهو ثقة مأمون وزيادة الألفاظ عندنا مقبولة من الثقات...إلخ.

[٧٠] - ما بين القوسين سقط من المطبوعات.

[٧١] - وقع في المطبوعات في الموضعين(المتقررة) , وهو خطأ لمخالفته لما في المخطوطة.

[٧٢] - وقع في المطبوعات في الموضعين(المتقررة) , وهو خطأ لمخالفته لما في المخطوطة.

[٧٣] - وقع في المطبوعات (... حكم العقل في هذا الكلام كذا)

[٧٤] - وقع في المطبوعات (فيا لله و للمسلمين),وهو مخالف للمخطوطة.

[٧٥] - ما بين القوسين سقط من المطبوعات.

(سبحانه)[٧٦]فما تعقله هذا من صفات الله قال به جزما , وما تعقله خصمه منها قطع به, فأثبتوا لله (عز وجل)[٧٧]الشيء ونقيضه استدلالا بما حكمت به (في صفات الله)[٧٨] عقولهم الفاسدة ,وتناقضت في شأنه ولم يلتفتوا إلى ما وصف الله به نفسه, أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم بل إن وجدوا ذلك موافقا لما تعقلوه جعلوه مؤيدا له ومقوياً, وقالوا: قد ورد دليل السمع مطابقا لدليل العقل!

وإن وجدوه مخالفا لما تعقلوه جعلوه واردا على خلاف الأصل, ومتشابها , وغير معقول المعنى , ولا ظاهر الدلالة .

ثم قابلهم المخالف لهم بنقيض قولهم فافترى على عقله بأنه قد تعقل خلاف ما تعقله خصمه , وجعل ذلك أصلا ترد إليه أدلة الكتاب والسنة , وجعل المتشابه عند أولئك محكما عنده , والمخالف لدليل العقل عندهم موافقا له عنده , فكان حاصل كلام هؤلاء أنهم يعلمون من صفات الله ما لا يعلمه , وكفاك هذا! وليس بعده شيء , وعنده يتعثر القلم حياء من الله (عز وجل)[٧٩].

وربما استبعد هذا مستبعد, واستنكره مستنكر, وقال : إنّ في كلامي هذا مبالغة , وتهويلا وتشنيعا, وتطويلا, وإنّ الأمر أيسر من أن يكون حاصله هذا الحاصل (الذي ذكرت)[٨٠]. وثمرته مثل هذه الثمرة التي أشرت إليها!

فأقول : خذ جملة البلوى , ودع تفصيلها , واسمع ما يصك سمعك , ولولا هذا الإلحاح منك ما سمعته, ولا جرى القلم بمثله.

هذا أبو علي[٨١] وهو رأس من رؤوسهم , وركن من أركانهم وأسطوانة من (أساطينهم)[٨٢], قد حكى عنه الكبار(منهم)[٨٣]وآخر من حكى ذلك عنه [٨٤] صاحب شرح (القلائد)[٨٥](يقول)[٨٦] ((والله لا يعلم [الله] من

---

[٧٦] - في المطبوعات (تعالى) , وأما في المخطوطة (سبحانه) فأثبتناه.
[٧٧] - وقع في المطبوعات (تعالى) ؛ وأما في المخطوطة (عز وجل) فأثبتناه .
[٧٨] - ما بين القوسين سقط من المطبوعات .
[٧٩] - وقع في المطبوعات (سبحانه وتعالى) , وهو مخالف لما في المخطوطة.
[٨٠] - ما بين القوسين سقط من المطبوعات.
[٨١] - انظر ترجمته في وفيات الأعيان (ج٤ص٢٦٧-٢٦٩), والبداية والنهاية (ج١١ ص ١٢٥), والعبر (ج٢ص١٢٥), ولسان الميزان (ج١١ص١٢٥), وطبقات المفسرين للداودي (ج٢ ص١٨٩-١٩٠) وطبقات المفسرين للسيوطي (٣٣٣) , وشذرات الذهب (ج٢ص٢٣٦) , وسير أعلام النبلاء (ج١٤ص١٨٣).

نفسه إلا ما يعلم هو))، فخذ هذا التصريح حيث لم تكتف بذلك التلويح، وانظر هذه الجرأة على الله سبحانه وتعالى

، التي ليس بعدها جرأة ،فيا لأم أبي علي الويل (ينهق)[٨٧] مثل هذا النهيق ويدخل نفسه (إلى)[٨٨] هذا المضيق؟ وهل سمع السامعون بيمين أفجر من هذه اليمين الملعونة؟ أو نقل الناقلون (عن مسلم)[٨٩] كلمة تقارب معنى هذه الكلمة المفتونة ؟ أو بلغ مفتخر إلى ما بلغ (إليه)[٩٠] هذا المختال الفخور؟ أو وصل من يفجر في أيمانه إلى ما يقارب هذه الفجور؟

وكل عاقل يعلم أن أحدنا لو حلف أن ابنه أو أباه لا يعلم من نفسه إلا ما يعلمه هو لكان كاذبا في يمينه ، فاجرا فيها، لأن كل فرد من (أفراد)[٩١] الناس ينطوي على صفات وغرائز لا يجب أن يطلع عليها غيره ويكره أن يقف على شيء منها سواه ،ومن ذا الذين يدري بما يجول في خاطر غيره (أو يسكن)[٩٢] في ضميره ، ومن ادعى علم ذلك وأنه يعلم من غيره من بني آدم ما يعلمه ذلك الغير من نفسه ولا يعلم ذلك الغير من نفسه إلا ما يعلمه هذا المدعي فهو إما مصاب العقل ، يهذي بما لا يدري، ويتكلم بما لا يفهم ، أو كاذب شديد الكذب، عظيم الافتراء ، فإن هذا أمر لا يعلمه غير الله سبحانه فهو الذي يحول بين المرء وقلبه (و يعلم ما)[٩٣] توسوس

---

[٨٢] - وقع في المطبوعات (من أسطواناتهم), وهذا مخالف لما في المخطوطة.

[٨٣] - ما بين القوسين سقط من المطبوعات.

[٨٤] - وقع في المطبوعات بالتقديم والتأخير هكذا (عنه ذلك).

[٨٥] -ذكر في (إيضاح المكنون) (ج٢ص٢٣٨) لأحمد بن يحيي بن مرتضى الزبيدي , وانظر ترجمته في البدر الطالع للشوكاني رحمه الله (ج١ص١٢٢-١٢٦).

[٨٦] - ما بين القوسين سقط من المطبوعات واستدركناه من المخطوطة.

[٨٧] - وقوع في المطبوعات (أنهيق) وهو مخالف للمخطوطة.

[٨٨] - وقع في المطبوعات (في) وهو مخالف للمخطوطة.

[٨٩] - ما بين القوسين سقط من المطبوعات.

[٩٠] - ما بين القوسين سقط من المطبوعات

[٩١] - ما بين القوسين سقط من المطبوعات.

[٩٢] - وقع في المطبوعات (ويستكن), وهو مخالف للمخطوطة.

[٩٣] - وقع في المطبوعات(وما), وسقطت لفظة (يعلم) بين الواو وما واستدركتها من المخطوطة.

به نفسه , وما يسر عباده , وما يعلنون , وما يظهرون, وما يكتمون, كما أخبرنا بذلك في كتابه العزيز في غير موضع.

فقد خاب وخسر من أثبت لنفسه من العلم ما لا يعلمه إلا الله (سبحانه)[٩٤] من عباده فما ظنك بمن [٩٥]جاوز هذا , وتعداه وأقسم بالله سبحانه أن الله لا يعلم من نفسه هو إلا ما يعلمه هو؟

ولا يصح لنا أن نحمله على اختلال العقل , فلو كان مجنونا لم يكن رأسا يقتدي بقوله جماعات من أهل عصره (وممن)[٩٦] جاء بعده وينقلون كلامه في الدفاتر, ويحكون عنه في مقامات الاختلاف.

ولعل أتباع هذا ومن يقتدي بمذهبه لو قال لهم قائل , وأورد عليهم مورد قول الله عز وجل : (وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً)[٩٧] وقوله :(وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ)[٩٨].

وقال لهم هذا يرُدُّ ما (قاله)[٩٩] صاحبكم , ويدل على أن يمينه هذه فاجرة مفتراة!

لقالوا : هذا ونحوه مما يدل دلالته ويفيد مفاده (هو)[١٠٠]من المتشابه الوارد على خلاف دليل العقل, المدفوع بالأصول المقررة.

وبالجملة ,فإطالة ذيول الكلام في مثل هذا المقام إضاعة للأوقات, واشتغال بحكاية الخرافات المبكيات لا المضحكات , وليس مقصودنا ها هنا إلا إرشاد السائل إلى أن المذهب الحق في الصفات هو إمرارها على

---

[٩٤] - ما بين القوسين سقط من المطبوعات , واستدركته من المخطوطة.

[٩٥] - وقع في المطبوعات (من) وهو مخالف لما في المخطوطة.

[٩٦] - وقع في المطبوعات (ومن) وهو هو مخالف لما في المخطوطة.

[٩٧] - آية (١١٠) سورة طه.

[٩٨] - آية (٢٥٥) سورة البقرة.

[٩٩] - وقع في المطبوعات (ما قال) وهو مخالف لما في المخطوطة.

[١٠٠] - ما بين القوسين من المطبوعات واستدركته في المخطوطة.

ظاهرها من (دون)[١٠١] تأويل , ولا تحريف , ولا تكلف , ولا تعسف, ولا جبر , ولا تشبيه, ولا تعطيل , وأن ذلك هو مذهب السلف الصالح الصحابة[١٠٢]والتابعين وتابعيهم.

فإن قلت : (وماذا)[١٠٣] تريد بالتعطيل في مثل هذه العبارات التي تكررها؟ فإن أهل المذاهب الإسلامية يتنزهون عن ذلك ويتحاشون عنه, ولا يصدق معناه, ويوجد[١٠٤] مدلوله إلا في طائفة من طوائف الكفار, وهم المنكرون للصانع[١٠٥]!

قلت : يا هذا , إن كنت ممن له إلمام بعلم الكلام الذي اصطلح عليه طوائف من أهل الإسلام, فإنه لا محالة قد رأيت ما يقوله كثير منهم , ويذكرونه في مؤلفاتهم, ويحكونه عن أكابرهم , أن الله سبحانه وتعالى (وتنزه)[١٠٦] وتقدس لا هو جسم ولا جوهر ولا عرض ولا داخل العالم[١٠٧] ولا خارجه.

فأنشدك الله , أي عبارة تبلغ مبلغ هذه العبارة في النفي؟ وأي مبالغة في الدلالة على هذا النفي تقوم مقام هذه المبالغة؟

فكأن هؤلاء في فرارهم من شبهة التشبيه إلى هذا التعطيل كما قال القائل:

فكنت كالساعي إلى مثعب موائلا من سبل الراعد

أو: كالمستجير من الرمضاء بالنار , والهارب من لسعة الزنبور إلى لدغة الحية , ومن قرصة النملة إلى قضمة الأسد!

---

[١٠١] - وقع في المطبوعات (من غير) , وهو مخالف للمخطوطة.

[١٠٢] - وقع في المطبوعات(... مذهب السلف الصالح من الصحابة...) وزيادة (من) مخالفة للمخطوطة.

[١٠٣] - وقع في المطبوعات (ماذا) من دون واو واستدركتها من المخطوطة,

[١٠٤] - في المطبوعات (ولا نصدق معناه ولا يوجد), وهو مخالف لما في المخطوطة.

[١٠٥] - قال شيخنا في تعليقه على هذه الرسالة : لفظ الصانع لم تثبت من صفات الله وصفات الله توقيفية ويغنى عنها الخالق الذي وردت به الآيات البينات.

[١٠٦] - وقع في المطبوعات (تنزه) بإسقاط الواو واستدركته من المخطوطة.

[١٠٧] - وقع في المطبوعات (ولا داخل في العالم) بزيادة في وهو مخالف للمخطوطة.

وقد (كان)[١٠٨] يغني هؤلاء وأمثالهم من المتكلمين المتكلفين كلمتان من كتاب الله (عز وجل)[١٠٩], وصف بهما نفسه , وأنزلهما على رسوله وهما : (وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً)[١١٠] و: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)[١١١].

فإن هاتين الكلمتين قد اشتملتا على فصل الخطاب , وتضمنتا (ما يغني)[١١٢] أولي الألباب السالكين في تلك الشعاب (والخضاب الصاعدين في متوعرات هاتيك العقاب)[١١٣] فالكلمة (الأولى)[١١٤] منها دلت دلالة بينة على أن كل ما تلكم به البشر في ذات الله وصفاته على وجه التدقيق ودعاوى التحقيق ,فهو مشوب بشعبة من شعب الجهل, مخلوط بخلوط هي منافية للعلم , ومباينة له, فإن الله سبحانه قد أخبرنا أنهم لا يحيطون به علماً, فمن زعم أن ذاته كذا , أو صفته كذا, فلا شك أن صحة ذلك متوقفة على الإحاطة وقد نفيت على كل فرد (لأن هذه القضية هي في قوة لا يحيط به فرد)[١١٥] من الأفراد علماً.

فكل قولٍ من أقوال المتكلمين صادرة عن جهلٍ : إما من كل وجه, أو من بعض الوجوه , وما صدر عن جهلٍ فهو (جهل)[١١٦] مضاف إلى جهل , ولا سيما إذا كان في ذات الله وصفاته , فإن (في)[١١٧] ذلك من المخاطرة (بالدين)[١١٨] ما لم يكن في غيره من المسائل , وهذا يعلمه كل ذي علمٍ ويعرفه كل عارف .

ولم يحط بفائدة هذه الآية ويقف عندها ويقتطف من ثمراتها إلا الممرون (للصفات)[١١٩] على ظاهرها , المريحون أنفسهم (عن)[١٢٠] التكلُّفات والتعسفات والتأويلات والتحريفات , وهم السلف الصالح– كما عرفت – فهم

---

[١٠٨] - ما بين القوسين سقط من المطبوعات.
[١٠٩] - وقعل في المطبوعات (تعالى) , وهو مخالف للمخطوطة.
[١١٠] - آية (١١٠) سورة طه.
[١١١] - آية (١١) سورة الشورى.
[١١٢] - وقع في المطبوعات (بها بعين) , وهو مخالف للمخطوطة.
[١١٣] - ما بين القوسين سقط من المطبوعات , واستدركته من المخطوطة.
[١١٤] - ما بين القوسين سقط من المطبوعات , واستدركته من المخطوطة
[١١٥] - ما بين القوسين سقط من المطبوعات , واستدركته من المخطوطة
[١١٦] - ما بين القوسين سقط من المطبوعات
[١١٧] - ما بين القوسين سقط من المطبوعات
[١١٨] - وقع في المطبوعات (في الدين) وهو مخالف للمخطوطة.
[١١٩] - وقع في المطبوعات (الممرون الصفات), وهو مخالف لما في المخطوطة.
[١٢٠] - وقع في المطبوعات (من).

الذين اعترفوا(بعدم الإحاطة)[١٢١], وأوقفوا أنفسهم حيث أوقفها الله , وقالوا: الله أعلم بكيفية ذاته وماهية صفاته, بل العلم كله له وقالوا كما قال من قال ممن اشتغل بطلب هذا المحال, فلم يظفر بغير القيل والقال:

العلم للرحمن جل جلاله وسواه في جهلاته يتغمغم

ما للتراب وللعلوم وإنما يسعى ليعلم أنه لا يعلم

بل اعترف كثير من هؤلاء المتكلفين بأنه لم يستفد من تكلفه وعدم قنوعه بما قنع به السلف الصالح إلا بمجرد[١٢٢] الحيرة التي وجد عليها غيره من المتكلفين فقال[١٢٣]:

[لقد طفت في تلك المعاهد كلها][١٢٤] وسرحت [١٢٥]طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كف حائر على ذقن أو قارعا سن نادم

وها أنا أخبرك عن نفسي , وأوضح لك ما وقعت فيه في أمسى, فإني في أيام الطلب وعنفوان الشباب , شغلت بهذا العلم الذي سموه تارة علم الكلام , وتارة علم التوحيد, وتارة علم أصول الدين, و أكببت على مؤلفات الطوائف المختلفة منهم , ورمت الرجوع بفائدةٍ والعود بعائدة فلم أظفر من ذلك بغير الخيبة والحيرة , وكان ذلك من الأسباب التي حببت إلى مذهب السلف , على أني كنت قبل ذلك عليه , ولكن أردت أن أزداد (فيه)[١٢٦] بصيرة, وبه شغفاً وقلت عند (النظر)[١٢٧] في تلك المذاهب:

وغاية ما حصلته من مباحثي

---

[١٢١] - وقع في المطبوعات (... اعترفوا بالإحاطة), وهو خطأ ومخالف للمخطوطة.

[١٢٢] - وقع في المطبوعات (مجرد) بإسقاط الباء , واستدركتها من المخطوطة.

[١٢٣] - قلت : هو الشهرستاني.

[١٢٤] - هذا الشطر غير موجود في المطبوعة المنيرية وقد أثبته الشيخ مقبل بن هادي الوادعي في النسخة التي قدم لها وعلق عليها بلفظ (لعمري لقد طفت المعاهد كلها). وهو في المخطوطة هكذا .(وقد طفت في تلك المعاهد كلها)

والصواب ما أثبتناه لأنه هكذا في كتاب الشهرستاني نفسه المسمى (نهاية الإقدام في علم الكلام)

[١٢٥] - في النسخة المنيرية (وسرحت), وفي نسخة الشيخ مقبل (وسيرت) .وفي المخطوطة كذلك (وسيرت) والصواب ما أثبتناه. ولعل ا لمصنف رحمه الله كتبه من حفظه متصرف به.

[١٢٦] - وقع في المطبوعات (منه) وهو مخالف للمخطوطة.

[١٢٧] - ما بين القوسين سقط من المطبوعات.

ومن نظري من بعد طول التدبر

هو الوقف ما بين الطريقين حيرة

فما علم من لم يلق غير التحير

على أنني قد خضت منه غماره

وما قنعت نفسي (بدون) التبحر[١٢٨]

وأما الكلمة (الثانية)[١٢٩] وهو (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ), فيها يستفاد نفي المماثلة في كل شيء فيدفع بهذه الآية في وجه المجسمة , وتعرف به الكلام عند وصفه سبحانه بالسمع البصير, وعند ذكر السمع والبصر واليد والاستواء ونحو ذلك مما اشتمل عليه (القرآن)[١٣٠] والسنة, (فيتقرر)[١٣١] بذلك (الإثبات)[١٣٢] لتلك الصفات لا على وجه المماثلة والمشابهة للمخلوقات, (فيندفع)[١٣٣] به جانبي الإفراط والتفريط, وهما : المبالغة في الإثبات المفضية إلى التعطيل , (فيتخرج)[١٣٤] من بين الجانبين وغلو الطرفين حقية [١٣٥]مذهب السلف الصالح , هو قولهم بإثبات ما أثبته لنفسه من الصفات على وجه لا يعلمه إلا هو قولهم بإثبات ما أثبته لنفسه من الصفات على وجه لا يعلمه إلا يعلمه إلا هو ,فإنه القائل : ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)).

ومن جملة الصفات التي أمرها السلف على ظاهرها وأجروها على ما جاء به القرآن والسنة من دون تكلف ولا تأويل : صفة الاستواء , التي ذكرها السائل (فإنهم)[١٣٦] يقولون : نحن نثبت ما أثبته الله لنفسه من استوائه

---

[١٢٨] - وقع في المطبوعات (بغير التبحر) وهو مخالف للمخطوطة,

[١٢٩] ما بين القوسين سقط من المطبوعات.

[١٣٠] - وقع في المطبوعات (... مما اشتمل عليه الكتاب والسنة) , وهو مخال لما في المخطوطة.

[١٣١] - وقع في المطبوعات (فتقرر) , وهو مخالف لما في المخطوطة.

[١٣٢] - وما بين القوسين من المطبوعات.

[١٣٣] - وقع في المطبوعات (فيدفع) , وهو مخالف لما في المخطوطة.

[١٣٤] - وقع في المطبوعات (فيخرج) وهو مخالف لما في المخطوطة.

[١٣٥] - وقع في المطبوعات(أحقية) بزيادة الألف وهو خلاف لما في المخطوطة

[١٣٦] - ما بين القوسين سقط من المطبوعات.

على عرشه على هيئة لا يعلمها إلا هو , وفي كيفية[١٣٧] لا يدري بها سواه , ولا نكلف أنفسنا غير هذا , فليس كمثله شيء , لا في ذاته, ولا في صفاته , ولا يحيط عباده به علما.

وهكذا يقولون في مسألة الجهة[١٣٨] التي ذكرها السائل, وأشار إلى بعض ما فيه دليل عليها , والأدلة في ذلك طويلة كثيرة في الكتاب والسنة.

وقد جمع أهل العلم منها , لا سيما أهل الحديث, مباحث طولوها بذكر آيات قرآنية وأحاديث صحيحة.

وقد وقفت من ذلك على مؤلف بسيط في مجلد , جمعه مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي رحمه الله , استوفى فيه كل ما فيه دلالة على الجهة من كتاب أو سنة أو قول صاحب[١٣٩].

والمسألة أوضح من أن تلتبس على عارف , وأبين من أن يحتاج فيها إلى التطويل, لكنها لما وقعت فيها تلك القلاقل و الزلازل الكائنة بين بعض الطوائف الإسلامية, كثر الكلام فيها وفي مسألة الاستواء , وطال (خصوصا)[١٤٠] بين الحنابلة وغيرهم من أهل المذاهب فلهم في ذلك الفتن الكبرى والملاحم العظمى , وما زالوا هكذا في عصر بعد عصر.

والحق هو ما عرفناك من مذهب السلف الصالح: فالاستواء عل العرش , والكون في تلك الجهة (وقد)[١٤١] صرح به (القرآن الكريم في مواطن يكثر حصرها ويطول نشرها وكذلك صرح به)[١٤٢] رسول الله صلى الله

---

[١٣٧] - وقع في المطبوعات (وكيفية) بإسقاط (في) فاستدركتها من المخطوطة.

[١٣٨] لفظ الجهة لم يرد في الكتاب ولا في السنة . فإن أراد قائلها بها أمرا موجودا غير الله كانت مخلوقة , وربنا عز وجل فوق خلقه , ولا يحيط به شيء من المخلوقات فإنه سبحانه وتعالى بائن من خلقه.
وإن أراد قائلها بها أمرا عدميا, وهو ما فوق العالم فليس هنالك إلا الله وحده.
راجع مقدمة مختصر العلو لشيخنا ناصر الدين الألباني (ص ٧٢),
وانظر منهاج السنة (ج٢ص٢٥٢), والتدمرية (ص٤٥) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

[١٣٩] - قلت : هو كتاب (العلو للعلي الغفار).

[١٤٠] - وقع في المطبوعات (سيما) , وهو مخالف لما في المخطوطة.

[١٤١] - ما بين القوسين سقط من المطبوعات.

[١٤٢] - ما بين القوسين سقط من المطبوعات , واستدركته من المخطوطة.

عليه وسلم في غير حديث , بل هذا مما يجده كل فرد من أفراد (المسلمين)[١٤٣] في نفسه, ويحسه في فطرته, وتجذبه إليه طبيعته[١٤٤] , كما نراه[١٤٥] في كل من استغاث بالله سبحانه[١٤٦] والتجأ إليه, ووجه أدعيته إلى جنابه الرفيع وعزه المنيع, فإنه يشير عند ذلك بكفه, أو يرمي إلى السماء بطرفه, ويستوي في ذلك عند عروض أسباب الدعاء , وحدوث بواعث الاستغاثة ووجود مقتضيات (الانزعاج)[١٤٧] وظهور دواعي الالتجاء , عالم الناس وجاهلهم ,والماشي على طريقة السلف والمقتدي بأهل التأويل القائلين بأن الاستواء هو الاستيلاء كما قاله[١٤٨] جمهور المتأولين والأقيال [١٤٩]–كما قال أحمد بن يحيي ثعلب [١٥٠] والزَّجَّاج[١٥١] والفرَّاء [١٥٢] وغيرهم , أو كناية عن الملك والسلطان كما قال آخرون.

---

[١٤٣] - وقع في المطبوعات (الناس), وهو مخالف للمخطوطة.

[١٤٤] - أخرج الذهبي في كتابه(العلو) ,وفي (سير أعلام النبلاء) (ج١٨ ص٤٧٥-٤٧٧) .(ج٢٠ص١٠١), بإسناد صحيح عن أبي جعفر الهمذاني , قال : سمعت أبا المعالي الجويني وقد سئل عن قوله تعالى: **(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)** , فقال : كان الله ولا عرش وجعل يتخبط في الكلام.

فقلت : قد علمنا ما أشرت إليه فهل عندك للضرورات من حيلة ؟

فقال ما تريد بهذا القول؟ وما تعني هذه الإشارة؟

فقلت : ما قال عارف قط : يا رباه إلا قبل أن يتحرك لسانه قام من باطنه قصد لا يلتفت يمنة و لا يسرة يقصد الفوق , فهل لهذا القصد الضروري عندك من حيلة فنبئنا نتخلص من الفوق والتحت , وبكيت وبكي الخلق فضرب الأستاذ بكمه على السرير وصاح : يا للحيرة وحرق ما كان عليه وانخلع و صارت قيامة في المسجد, ونزل ولم يجبني إلا : يا حبيبي الحيرة الحيرة والدهشة الدهشة فسمعت بعد ذلك أصحابه يقولون: سمعناه يقول حيرني الهمذاني

١٤٥ - وقع في المطبوعات (تراه).

١٤٦ - وقع في المطبوعات (سبحانه وتعالى) ولفظة (وتعالى) ليست في المخطوطة.

١٤٧ - وقع في المطبوعات (الإزعاج), وهو مخالف للمخطوطة.

١٤٨ -وقع في المطبوعات (كما قال) , وهو مخالف للمخطوطة.

١٤٩ - الأقيال : جمع قيل وهو الملك أو الرئيس.

١٥٠ - هو أحمد بن يحيي بن زيد بن سيار أبو العباس المعروف بثعلب ترجمته في تذكرة الحفاظ (ج٢ص٢١٤-٢١٥) ,ووفيات الأعيان (ج١ ص٣٠), وشذرات الذهب (ج٢ ص ٢٠٧-٢٠٨) وانباه الرواة (ج١ ص١٧٣) , وبغية الوعاة (١٧٢-١٧٤), وتاريخ بغداد (ج٥ ص ٢٠٤-٤١٢), والبداية والنهاية (ج١١ ص ٩٧-٩٩).

١٥١ - هو إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج.

ترجمته في تاريخ بغداد(ج٦ص ٨٩-٩٥) وبغية الوعاة (١٧٩-١٨٠), والبداية والنهاية (ج١١ ص١٤٨-١٤٩) ووفيات الأعيان (ج ١ ص ١١-١٢) ، وشذرات الذهب (ج٢ ص٢٥٩ -٢٦٠) ، وطبقات ابن قاضي شهبة (ج١ ص١٦٥- ١٦٨) ، وتنظر كشف الظنون في مواضع متفرقة ، وانباه الرواة (ج١ ص١٩٤- ٢٠١) .

١٥٢ - هو يحيي بن زياد بن عبدا لله بن منظور الديلمي أبو زكرياء الفراء تجمته في البداية والنهاية (ج١٠ص ٢٦١) , وتاريخ بغداد (ج١٤ ص١٤٩ -١٥٥) , والكامل لابن الأثير (ج٥ ص٢٠٦), وتذكرة الحفاظ (ج١ ص٣٣٨), والتهذيب لابن حجر (ج١١ ص ٢١٢) , و وفيات الأعيان (خ٢ ص٢٢٨و ٢٣٠) , وشذرات الذهب (ج٢ ص١٩), وطبقات ابن قاضي شهبة (٢٦٨,٢٦٩),

فالسلامة والنجاة في إمرار ذلك على الظاهر , والإذعان بأن الاستواء والكون على ما نطق به الكتاب والسنة من دون تكييف ولا تكلف , ولا قيل ولا قال ولا فضول[١٥٣] في شيء من المقال , فمن جاوز هذا المقدار بإفراط أو تفريط فهو غير مقتد بالسلف ولا واقف في طريق النجاة , ولا معتصم عن الخطأ ولا سالك في طريق السلامة والاستقامة.

وكما نقول هكذا في الاستواء , والكون في تلك الجهة, فكذا نقول في مثل قول سبحانه : ((وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ))[١٥٤], (وقوله)[١٥٥]: ((مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ))[١٥٦] وفي نحو : ((إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ))[١٥٧],((إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ))[١٥٨], إلى ما يشابه ذلك ويماثله (ويقاربه)[١٥٩] ويضارعه.

فنقول في مثل هذه الآيات : هكذا جاء القرآن أن الله سبحانه مع هؤلاء , ونتكلف بتأويل[١٦٠]ذلك كما يتكلف غيرنا بأن المراد بهذا الكون وهذه المعية هو كون العلم ومعيته , فإن هذه شعبة من شعب التأويل[١٦١]تخالف مذاهب

وطبقات القراء (ج٢ ص ٣٧١-٣٧٢) ,والعبر (ج١ ص ٣٥٤), وانباه الرواة(ج٤ ص ٧), والمزهر (ج٢ ص ٤١٠ ,٤١٩), ومعجم الأدباء (ج٢٠ ص٤٠٩), وانظر كشف الظنون في مواضع متفرقة , ومعجم المؤلفين (ج١٣ ص ١٥٨) , وهداية العارفين (ج٢ ص٥١٤).

[١٥٣] - وقع في المطبوعات(ولا قصور) , وهو مخالف لما في المخطوطة.

[١٥٤] - آية (٤) سورة الحديد.

[١٥٥] - وقع في المطبوعات (وفي نحو) , وهو مخالف لما في المخطوطة.

[١٥٦] -آية (٧) سورة المجادلة.

[١٥٧] - آية (٤٧) سورة الأنفال.

[١٥٨] - آية (١٢٨) سورة النحل.

[١٥٩] - ما بين القوسين سقط من المطبوعات.

[١٦٠] - وقع في المطبوعات (ولا نتكلف تأويل ذلك), بإسقاط الباء وأثبتناه من المخطوط.

[١٦١] - قلت: بل هذا هو الحق وهو مذهب السلف رحمهم الله تعالى,

ولعل الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى تراجع عن هذا القول فإنه قال في تفسيره (فتح القدير) (ج٥ ص ١٦٦) :

(وهو معكم أينما كنتم) : أي بقدرته وسلطانه وعلمه.

وقال أيضا في ج٥ ص١٧): (ومعنى : أينما كانوا)إحاطة علمه بكل نتاج يكون منهم في أي مكان من الأمكنة اهـ).

وتفسير المعية بأنها معية علم , هو الذي تقتضيه اللغة العربية لأن (مع) في لغة العرب إذا أطلقت فظاهرها في اللغة يقتضي المقارنة من غير وجوب مماسة أو محاذاة فإذا قيدت بمعنى من المعاني أطلقت على المقارنة في ذلك المعنى ففرق بين معنى المعية ومقتضاها وربما صار مقتضاها من معناها فيختلف باختلاف المواضع.

ولفظ(مع) استعمل في القرآن والسنة في مواضع يقتضي في كل موضع منها أمورا لا يقتضيها في الموضع الآخر.

السلف , وتباين ما كان عليه الصحابة والتابعون وتابعوهم, وإذا انتهيت إلى السلامة في مداك فلا تجاوزه.

وهذا الحق ليس بن خفاء

فدعني من بنيات الطريق

وقد هلك المتنطعون[١٦٢] ولا يهلك على الله إلا هالك, وعلى نفسها براقش تجني[١٦٣].

فإما تختلف دلالتها بحسب موضعها أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها وإن امتاز كل موضع بخاصية وعلى كلا التقديرين ليس مقتضاها الاختلاط والمماسة حتى يقال : صرفت عن ظاهرها.

واعلم أن المعية تنقسم إلى قسمين : (معية عامة, ومعية خاصة)

وبهذا ورد القرآن الكريم.

فمن العام قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) بدأ الآية بالعلم وختمها بالعلم.

ومن الخاص قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) فلو كان معنى (مع) أنه معنا بذاته في كل مكان كما يزعم الخلفيون لحصل تناقض بين الخبر الخاص والعام.

وتفسير المعية بأنها معية علم هو مذهب أئمتنا رحمهم الله تعالى.

فراجع كتاب (الرد على الجهمية ص ١٩), لعثمان الدارمي, وكتاب (الرد على الجهمية والزنادقة ص ٥٢,٥٨) , لإمام أهل السنة أحمد بن حنبل, والتمهيد لابن عبد البر (ج٧ ص ١٣٧-١٣٩), والاعتقاد (ص ٧٢), والأسماء والصفات (ص٥٤١), وكلاهما للبيهقي رحمه الله.

والشريعة للآجري (ص ٢٨٨) وتفسير ابن جرير الطبري (ج ٧ ص١٢٤ ج٢٨ص١٠), وزاد المسير لابن الجوزي (ج٨ ص ١٢٤و١٨٨), وغير ذلك.

قال شخنا ناصر الدين الألباني جزاه الله خيرا في مختصر العلو (ص ٢٦٨) معلقا على كلام ابن عبد البر:

في هذا النص رد صريح لما ذهب إليه الإمام الشوكاني في آخر (تحفته) إن تأويل هذه الآية وآية (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ) بالمعية العلمية إنما هو شعبة من شعب التأويل المخالف لمذاهب السلف وما كان عليه الصحابة والتابعون وتابعوهم.

كذا قال وكأنه لم يقف على هذا النص من الحافظ ابن عبد البر, ولا على من سبق من الأئمة الفحول كسفيان الثوري , ومالك , ومقاتل بن حبان الذين فسروا الآيتين بمثل ما نقل ابن عبد البر إجماع الصحابة ومن بعدهم عليه , فلا تغتر إذا بما زعمه الشوكاني من المخالفة فإن لكل عالم زلة ولكل جواد كبوة ا.هـ.

قلت: ولعل مما يقوي ظني بأن الشوكاني قد تراجع عن هذا القول ما ذكره في ترجمته من البدر الطالع(ج ٢ ص٢٢١), فإنه ذكر بعض مؤلفاته فقال: (... رسالة على مسائل لبعض علماء الحجاز) فلعلها هذه الرسالة ثم ذكر في(ص ٢٢٢) أنه أثناء كتابته لترجمته يجمع تفسيرا لكتاب الله جامعا بين الدراسة والرواية...) إذا فتفسيره هو المتأخر وقد رأيت موافقته لمذهب السلف فالحمد لله رب العالمين

[١٦٢] - يشير رحمه الله تعالى إلى ما ورد في حديث ابن مسعود رضي الله عنه الذي رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٧٠)

[١٦٣] - هذا مثل لمن يعمل عملا يعود ضرره عليه.

وفي هذه الجملة وإن كانت قليلة – ما يغني من شحٍّ بدينه وتحرص عليه عن تطويل المقال , وتكثير ذيوله وتوسيع دائرة فروعه وأصوله.

(والمهدي من هداه الله)[١٦٤].

حرره المجيب محمد بن علي الشوكاني في شهر ربيع الآخر بحصن كوكبان حامداً الله سبحانه مصلياً على رسوله وآله. سنة ١٢٢٨هـ.

[١٦٤] - وقع في المطبوعات (والهداية من الله) , وهو مخالف لما في المخطوطة.

وبعد هذه الجملة وقع في النسخة المنيرية قوله: (...والله أعلم).

وأما في المدينة (... والله أعلم ولله الحمد أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وأصلى وأسلم على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

وبهذا ينتهي تحقيقي لهذه الرسالة المسماة ب ((التحف في الإرشاد إلى مذهب السلف))

لشيخ الإسلام/

محمد بن علي الشوكاني

رحمه الله تعالى